

# ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن

تأليف

اسرار احمد

المؤسس للجنة خدام القرآن المركزية لاهور

تعريب

الأستاذ صهيبي حسن السلفي

لجنة خدام القرآن المركزية

١٢-شارع افغانى ، سن آباد، لاهور

---

كل من يريد أن يطبع هذا الكتاب فله رخصة

---

طبع في مطبعة المكتبة العلمية ١٥ - شارع مصر البساتين - القاهرة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن

يجب على كل مسلم حسب مقدرته وصلاحيته خمسة حقوق تجاه القرآن وإليك بيانها بعبارات واضحة خالية عن أى غموض أو تعقيد يعقبها توضيح كل حق مع شرح واف له فى ضوء القرآن نفسه .

أولاً : الايمان بالقرآن المجيد

ثانياً : قراءته

ثالثاً : فهمه

رابعاً : العمل به

خامساً : تبليغه إلى الآخرين .

## الحق الاول

### الايمان بالقرآن

وله وجهان ، إقرار باللسان وهو شرط ضرورى للدخول فى  
حظيرة الاسلام ، وتصديق بالقلب وهو يلزم الايمان الحقيقى .

المراد بالايمان به هو أن يقر المرء بأنه كلام الله العزيز المنزل على  
رسوله محمد ﷺ خاتم النبيين بواسطة جبرائيل عليه السلام ويدخل  
المرء فى حظيرة الاسلام بهذا الاقرار ولا كنه لا يحظى بالايمان  
الحقيقى إلا إذا تيقن بهذه المعتقدات بقباه فاذا حصل له ذلك  
زادت لديه عظمة القرآن وازداد هو بنفسه تعظيماً له وتكريماً فكان  
الايمان به يلزمه التعظيم والاكرام له .

إن أول من آمن به هو الرسول ﷺ بنفسه وصحابته المكرمون  
كما قال عز وجل : " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون " .  
البقرة .

ولما كان هذا الايمان صدقه القلب وحالفه الاذعان واليقين  
وقع فى قلوبهم موقع الاجلال والتكريم وحل فيها محل الحب والوله  
به فكان النبى ﷺ ينتظر الوحي ويتشوق إلى نزوله فاذا نزل عليه

أستعد لقراءته وحفظه وهو وله به إلى حد بعيد حتى نصحه الله تعالى بالامتناع عن المبالغة فيها بقوله ”ولا تعجل بالقرآن“ (طه) و”لا تحرك به لسانك لتعجل به“ (القيامة) .

ولما انقطع الوحي في أول نزوله شق على الرسول انقطاعه حتى أنه كان يفكر بعض الأحيان في الإبقاء بنفسه عن الجبل وكان يقضى أكثر الليل وهو يقرأ القرآن في الصلاة حتى تنورم قدماه وكم من صحابي تابعه على قراءته نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه كما شهد به القرآن وبأبى تفصيله فيما بعد وكان يسمع القرآن - وهو الذي أنزل عليه - من الصحابة بالحاح منه وقد تدمع عيناه وهو يستمع إليه ، ولم تكن صلة النبي ﷺ وصحابته بالقرآن وولهم به إلى هذا الحد إلا لأنهم تيقنوا بنزوله من الله عز وجل حق اليقين ، أما نحن فإلى نقيض ذلك نقر بأنه من الله ونشكره على أنه جعلنا من المسلمين المؤمنين بكلامه ولمكنه لم يتحصل لدينا - إلا من شاء الله - هذا اليقين الكامل بكونه كلام الله مما أدى إلى بعدنا عنه وانصرافنا عن تلاوته . . . . . قد لا يعجبكم هذا القول إلا أنني أرجو كل واحد منا أن يخلو بنفسه ويفكر جيداً فيجد أنها خالية عن هذا اليقين وقد حل محله الريب والشك كما شهد به القرآن «وإن الذين أوردوا الكتاب من بعدهم إني شك منه مريب» (الشورى) وهذا الذي جعلنا ننصرف عن قراءته والتفكير في آياته وتكوين شخصياتنا حسب أوامره ومنهياته ، كل هذا وذاك صادر

عن نقص في الايمان واليقين ومن العسير أن ينفعنا أى موعظة أو تذكير مادامت هذه العلة كامنة في القلوب محيطة بها من كل جانب . . . .

«إن واجبنا الاول لذلك هو أن نتحقق من أنفسنا متسائلين ، هل نعتقد بأن القرآن هو كتاب سماوى مقدس ليس له أى رابط بالحياة ومسائلها العديدة بناء على عقيدة ورثناها أباً عن جد أو نعتقد بأنه كلام الله الذى أنزل ليهتدى به الناس ويقتدوا بهديه في حياتهم»

فاذا كان الثانى فهو المراد وأما إذا كان الاول - وعليه أكثرنا كما أظن - فعلينا أن نجبر هذا النقص في الايمان لأنه لا يمكن الوفاء بحقوق القرآن إلا إذا حصلنا على هذا الايمان .

وقد يتساءل سائل «فما هو الطريق العملى لجبر هذا النقص ؟ والجواب أن أسهل طريق للحصول على الايمان وأعظمه وقعاً في القلوب هو صحبة الأخيار الصالحين أصحاب الايمان واليقين كما تدل عليه أسوة الصحابة بأنفسهم فقد نالوا حظاً وافراً من هذا الايمان بصحبة النبي العظيم قد لا يتصور مثله في هذا الزمان - أما بعد وفاة الرسول ﷺ فإن العامة من الناس لا يزالون يحتاجون إلى صحبة أولئك الخاصة الذين غمر قلوبهم الايمان وداخلها إلى شفافها ، وأما الخاصة فانهم يزدادون إيماناً وبصيرة بصحبة القرآن نفسه وبسيرة الرسول

العظيم وسير أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ومن أراد أن يزداد إيماناً بالقرآن فما عليه إلا أن يلزم القرآن نفسه<sup>(١)</sup> .

ولم يكن الايمان - كما سيأتى تفصيله - ليؤتى به من الخارج ، إنما مصدره هو نفس الايمان بعينه كما أن قلبه هو تلك المرأة الصافية التي تنعكس فيها حقائق الكون بأجمعها المعبر عنها بالايمان بعبارة أخرى ، وإنما تتغير تلك المرأة ويتضال ضوءها إما بسبب المجتمع الفاسد المحيط بالانسان من كل جانب والتربية الفاسدة وإما بالأعمال السيئة<sup>(٢)</sup> .

إن كلام الله نزل «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» لجلاء هذه المرأة الكامنة في القلوب فمن قرأه وتدبر في معانيه طلباً عن الحق بنية صادقة ارتفعت عنه الحجب وتلاّ باطنه بالنور الوهاج من هذا الايمان ، هكذا يتحصل المرء على هذا النور لأول مرة وكلما تغيرت هذه المرأة فما عليه إلا أن ينظفها بقراءة القرآن نفسه كما أوصى به الرسول ﷺ في رواية عن عبد الله بن عمر ، «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، قيل يا رسول الله ما جلاؤها ؟

(١) كما قال شاعر الأردنية الشهير المنفور له مولانا ظفر علي خات : "لم يكن الايمان ليقتنى من دكان الفلاسفة بل إنما يعثر عليه القارى بعد البحث والتفتيش في أجزاء القرآن" .

(٢) كما قال الله تعالى : "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" . (المطففين)

وكما قال النبی ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (الحدیث) .

قال كثرة ذكر الموت و تلاوة القرآن ، رواه البيهقي .

عصارة القول بأنه لا يمكن تغيير مجرى الحياة إذا بقي المرء يعتقد في القرآن ما ورثه كبراً عن كابر بل عليه — إذا أراد الوفاء بحقوقه— أن يحصل على يقين كامل على أنه كتاب الله المنزل لهداية البشر أجمعين ، فمن حصل على هذا اليقين قويت صلته بالقرآن لأن من شعر بأنه كلام ذلك الاله العظيم الذي لا تدركه الأبصار ولا يمكن أن يتصوره أحد—والعجز عن إدراكه هو الإدراك بنفسه كما قال الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>— حدث له ثورة عارمة في أفكاره وتخيلاته وعرف قدر هذه النعمة الجليلة التي لا تدانيه— نعمة أخرى تحت أديم السماء<sup>(٣)</sup> .

«وعندئذ تتغذى أرواحنا بتلاوته وتتنور قلوبنا بالتدبر في آياته وكلما قرأناه ازددنا رغبة في قراءته وكلما صurfنا جهودنا في فهم معانيه وسبر غموضه وأسراره أدركنا بأننا ما استوفينا حقه وما قمنا بالواجب حق قيامه» .

(٢) ويقول سيدنا أبو بكر الصديق : «العجز عن درك الذات إدراك» يزيد عليه سيدنا علي بقوله : «والبحث عن كنه الذات اشتراك» .

(٤) كما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث بأن من أعطى القرآن ثم ظن بأن هناك نعمة أعظم منه أعطيا رجل آخر فاعرف القرآن حق معرفته» .



## الحق الثانى

### التلاوة والترتيل

وردت كلمة القراءة والتلاوة فى القرآن المجيد للتعبير عن معنى واحد إلا أن كلمة التلاوة كلها اصطلاح قرآنى لقراءة كتاب الله بعاطفة من الاكرام والتعظيم لدى القارئ معتقداً بكونه كتاباً سماوياً جاءلا نفسه فى أحضانه فكراً وذهناً قاصداً الانبعاث والاذعان، وقد وردت هذه الكلمة للتعبير عن القراءة خاصة فى المصاحف السماوية ، أما كلمة القراءة فهى تعم قراءة أى شىء كما أن من معانى «التلاوة» الاتباع والاعتقاد وأما القراءة فلان تدل على أكثر من جمع وضم للقراءة .

واستعملت كلمة القراءة بادى ذى بدء-حتى فى كلام الناس- فى تعلم القرآن وعلومه فمن تعلمه سمي قارئاً ثم اختصت هذه الكلمة أخيراً بمن قرأ القرآن مراعيأ علم التجويد وقواعده محافظاً على أداء الحروف حسب مخارجها كما أنه عرفت كلمة التلاوة بقراءة القرآن بشىء من الانابة والخضوع بقصد حصول البركة ونيل النصيحة .

إن تلاوة القرآن هى افضل طريق واعظمه تأثيراً فى الحفاظ على الايمان وسقى غراسه كما انها عبادة من أعظم أنواع العبادات .

لم يكن القرآن ليفهم مرة فلا يعاد إليه أخرى بل إنما هو بمنزلة الغذاء للروح وكما ان الجسم الحيوانى لا يستغنى في يوم من الايام عن غذائه الذى مصدره هى الارض فكذلك الروح التى معينها السماء لا تستغنى عن الاستمداد بهذا الغذاء الروحى من الكلام السماوى الحكيم» .

ولم يكن الرسول فى حاجة إلى تلاوة القرآن آناء النهار واطرافاً من الليل لو كان القرآن من الكتب التى إذا فهمت مرة ما اعيد إليها أبداً وامكنه امر بتلاوته وخاصة فى الدور الاول من النبوة وترتيله بين يدى الله تعالى وكلما حزبه أمر او تهاجت عليه الافكار والاحزان امر بالالتجاء إلى القرآن نفسه كما قال تعالى : «واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته وان تجد من دونه ملتحداً» (الكهف) «واتل ما اوحى إليك من الكتاب واقم الصلاة» (العنكبوت) .

تدل على هذه الآيات على ضرورة تلاوة القرآن بدون انقطاع فهى غذاء المؤمن وسلاحه ضد المشاكل والكوارث وآلته لتهجد غراس الايمان وقد خص القرآن بالذكر أولئك الذين يعتنون بقراءته فقال : «لذين آتيناهم الكتاب يتلوننه حن تلاوته» (البقرة) وفقنا الله لتلاوته حق التلاوة ولكن ما هو حق التلاوة وماهى الشروط للوفاء به ؟ إليكم بيانها بالاختصار .

## ١- التجويد

أى معرفة حروف القرآن ومخارجها ومعرفة رموزه وأوقافه ولا تصح التلاوة إلا بمعرفة هذه الأمور وهكذا كانت الحال قبل ثلاثين سنة ونيف فما من طفل يبلغ سن التمييز إلا وبدأ يتعلم حروف القرآن وأدائها حسب مخارجها في المساجد ومن الأسف الشديد أن كثيراً من الكهول والعجائز بله الجيل الجديد من الشبان والشابات في عصرنا هذا يعجزون عن قراءة القرآن نفسها عما يرجع سببه إلى تدهور حالة التعليم في المكاتب والمساجد وانتشار المدارس العصرية من رياض الأطفال إلى غير ذلك وأرجو منهم أن يتنبهوا إلى هذا النقصان العظيم ويسعوا إلى جبره بتعلم قراءته على الوجه الصحيح ولو بلغوا كما يجب عليهم أن يبدأوا بتعليم أولادهم الحروف العربية وأدائها بالنطق الصحيح لتسهل عليهم قراءة القرآن ، وقد لا تمدح المبالغة في هذا الأمر إلا أنه لا مناص لكل من آمن بالله ورسوله وأعطى حظاً من العلم من أن يحافظ على قراءة القرآن على الوجه الذى مربى به .

## ٢- الوظيفة اليومية

الشيء الثانى المهم للوفاء بحق التلاوة هو أن يلتزم الرجل بنصاب معلوم من القراءة يومياً ويختلف قدره حسب اختلاف الناس وأحوالهم فأكثرها قراءة عشرة أجزاء يومياً أو ختم القرآن فى ثلاثة أيام كما نص عليه الرسول ﷺ وأقله - وليس دونه شيء حسب ما تعارف عليه الناس

والتزموا به في حياتهم فيما مضى من الزمن قريباً—هو تلاوة جزء يومياً بحيث يختم القرآن في شهر واحد وأوسطه ما كان عليه أكثر الصحابة كما أوصى به الرسول ﷺ عبدالله بن عمر رضى الله عنه وهو ختمه في سبعة أيام ولهذا عرفت سبعة أحزاب للقرآن منذ زمن الصحابة بحيث تشمل الأحزاب الستة الأولى على ثلاث وخمسة وسبع وتسع وإحدى عشرة من السور حسب الترتيب والحزب السابع المعروف بالمفصل على الباقي من القرآن فلا يتجاوز الحزب الواحد أربعة أجزاء ومن السهل تلاوتها في ساعتين وهما أقل من عشر الليل والنهار بكاملهما، هذا هو النصاب للقراءة ويجب على كل من رزق حب الدين ووجد رغبة لديه في أداء حقه سواء كان من العامة والخاصة فكلاهما في احتياج شديد إلى تغذية أرواحهم وتقويتها فالعامة يخرج منها بالموعدة والذكر وأما الخاصة فيستبدون بهديه ويستنبطون بضوئه حسب مداركهم ونضوج عقولهم<sup>(٥)</sup> ولا يستغنى عن قراءته أحد ولا أرلئك الممكرون في آياته الخاضعون في عمق محيطه الواقفون لدى مشكلاته أمداً طويلاً ، فانهم إلى تلاوته أشد احتياجاً من غيرهم لأنها تحل لهم المشاكل وتفتح لهم الأبواب التي استعصى عليهم حلها سابقاً .

(٥) من الواقع أن كثيراً من أهل الفكر والرأى تجاههم عقد محكمة لا يجدون إلى حلها أي سبيل قديم يتدون نجاهة إلى حلها بأيسر طريق خلال تلاوة القرآن بينما مروا على نفس الآيات قبل ذلك مرور الكرام إلا أنهم يبلغوا إلى أي اشارة لخلو أذهانهم من تلك العقدة سابقاً .

## ٣- اللحن الحسن

بما أن الصوت الحسن مرغوب لدى كل شخص يجب على القارئ، تلاوة القرآن بما استطاع من لحن طيب وصوت حسن وبما أن الاسلام دين الفطرة فما كان ليقضى على دواعي الفطرة مثل الاستماع إلى صوت حسن والنظر إلى أشياء حسنة من أصلها ، وإنما يصرفها إلى طريقها الصحيح فالنظر إلى كتابة المصحف الأنيقة والاستماع إلى تلاوة القرآن بالألحان الطيبة مما يكفل للمرء تحقيق هذه الدواعي على الوجه الصحيح ولذا قال النبي ﷺ : «زينا القرآن بأصواتكم» كما أنه على التقصير في هذا الأمر بقوله : «من لم يتغن باقرآن فليس منّا» (أبو داود) ورغب فيه بقوله : «ما أذن الله لشيء أدنه لحسن القرآن باقرآن» (وكم حدث أن الرسول يقف في الطريق لستمع إلى صحابي يقرأ القرآن باللحن الجميل وكان يسربه ويدعوه كما كان يطلب بعض الاحيان من بعض الصحابة ليقرا عليه القرآن مثل ماورد عن عبدالله بن مسعود فقد طلب منه ذلك فقال : «يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أزل ؟ فقال ﷺ : «نعم» فلما قرأ عليه دمت عيناه وقد سمع مرة أبا موسى الأشعري يقرأ القرآن فقال له «يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود».

وأما إذا جعلت القراءة حرفة داخاتها المنة والرياء فأنما تهير من المهلكات ولكنه يجب على كل حال للمرء أن يروى داعية حسن

الصوت المودعة عنده بالاستماع إلى قراءة حسنة كما عليه أن يتلو القرآن بما استطاع من صوت حسن .

#### ٤- الآداب الظاهرة والباطنة

وهناك آداب ظاهرة وباطنة لأداء حق التلاوة أيضاً ، منها كون المرء على وضوء وعلى جهة القبلة عند التلاوة مبتدئاً بالتعوذ ومنها أن يكون قلبه عامراً بالإيمان معترفاً بعظمة القرآن وصاحبه وقد خشيت جوارحه وخضعت بين يدي الله تعالى ما يريد إلا الهداية ولا يرجو من وراء ذلك إلا رضا وقد قويت عزيمته على تغيير حسب مقتضيات القرآن ، لا يقصر في التدبر في معانيه والتفكير في عظيم آياته ولا يتصد من ورائها الاستناد إلى آراء نفسه ومعتقداته ، وهذه الكيفية تتحقق القراءة فمكأن الرجل يتبع نفسه هذا الكتاب ويجعلها في صحبته مما تدل عليه كلمة «التلاوة» كما مر بيانه .

#### ٥- الترتيل

ومن أعظم صور التلاوة وأجلها ترتيل ما تيسر من القرآن بين يدي الله تعالى في غاية من السكينة والطمأنينة في الصلوات وخاصة في صلاة التهجد مع مراعاة الشروط التي سبق بيانها مما لها تأثير عظيم في القلوب وهذا ما فعله الرسول ﷺ وبه أمر في بداية عهد النبوة «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً» (المزمل) .

وهناك شبه قوى بين ترتيل القرآن أى قراءته بسكينة وتمهل وبين كيفية نزوله فانه لم ينزل على الرسول جملة واحدة بل إنما نزل نجماً ولما انتقد الكفار على الرسول ﷺ كونه لم ينزل جملة واحدة رد عليهم الله تعالى مخاطباً الرسول « كذلك انشئت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » (الفرقان) .

يعلم من ذلك أن الترتيل هو أصح طريق وأشدّه تأثيراً لثبوت الفؤاد وبهذا الطريق وحده يستفيد قلب الانسان أيما استفادة إلى أن تدمع العيون وقد روى ابن العربي صاحب «أحكام القرآن» تحت تفسير «الترتيل» ناقلاً عن سيدنا حسن بأن الرسول مر يوماً على رجل يقرأ آية آية ويغلب عليه البكاء فقال الرسول للصحابة «أما سمعتم قول الله تعالى «ورتل القرآن ترتيلاً» هذا هو الترتيل» وأمر به ﷺ في قوله «اتلوا القرآن وابكوا» (ابن ماجه) وروى بخصر صلاته في الليل بأنه يسمع منه صوت عند تلاوة القرآن كأن قدراً يغلى على النار من شدة البكاء .

#### ١- الحفظ

ومن الشروط اللازمة للترتيل حفظ ما قدر عليه الرجل من القرآن ومن الأسف الشديد أن الناس أهملوا هذا الجانب فينما كان من المعروف سابقاً الاعتناء بحفظ القرآن من أوله إلى آخره عند العامة والخاصة وعد من الشؤم إذا خلا بيت من حافظ للقرآن إلى أن صارت

الأحوال في أيامنا هذه إلى أنه لا يعتنى بحفظه إلا أولاد طبقة من الفقراء والمساكين يرتزقون به في حياتهم ولما كان الحفظ يسهل في الصغر درج الأولاد على حفظه في باكورة حياتهم إلا أنهم قلما يصلون إلى درجة التفكير والتدبر في آياته وإننا لنحمد هذه الجهود المؤمنة التي تبذل لحفظ القرآن ونرجو الله أن يبارك فيها ، وأما ما أقصده من الحفظ في هذا الموضع فإنما هو ذاك الحفظ الذي يجب على كل إنسان الاعتناء به بغية الوفاء بحق الترتيل فيجب على كل واحد منا الاستزادة من حفظ القرآن والسعى فيه حتى يقدر على قراءته كلما قام بين يدي ربه في ساعات أخيرة من الليل .

ومن الأسف أنه أهمل هذا الجانب كلياً واستغنى عنه العلماء حتى ترى الأئمة في المساجد لا يهتمون بهذا الأمر أى اهتمام بل يرددون في الصلوات نفس السور والآيات التي علقت بأذهانهم منذ صغرهم وهم ممن يرتزقون به في حياتهم .

ومن المفروض على نقيض ذلك أن يجعل كل شخص ما يحفظه من القرآن بمثابة رأس ماله وعليه أن يسعى طلباً للزيادة فيه حتى إذا قرأ القرآن انتفع بأعلى صور القراءة وهي الترتيل وغذى روحه بالغذاء الكافي من أجود أنواعه .



## الحق الثالث

### التذكر والتدبر

الحق الثالث للقرآن—بعد الايمان به وقراءته—هو فهمه ولم ينزل القرآن ولم يجب الايمان به إلا ليفهم أولاً ، وقد تجوز تلاوته بدون فهم لأولئك الأشخاص الذين لم يلقوا حظاً من العلم وقد تجاوزت بهم السن عن عمر التعلم والفهم فلا أقل «بالنسبة لهم من التلاوة نظراً ولا يحرمون ثوابه إن شاء الله ، وهكذا ذلك الرجل الأعمى الذى لم يعرف القراءة ولا الكتابة ولا يستطيع الآن ليهما سبيلاً إذا فتح المصحف وقد خشعت جوارحه أمام عظمة كلام الله وعظيم سلطانه ولم يجد غير الامرار بأصابعه على السطور لا يعدم الثواب والبركة (٦) . أما المثقفون من الناس الذين قضوا زهرة حياتهم فى علوم جمّة والسنة أجنبية عديدة إذا قرأوا القرآن بدون فهم أو تدبر فلا يعذرون أبداً ولا ينتفعون بهذه التلاوة وقد يؤخذون عند الله لما وجد لديهم من

(٦) هذا هو المراد من الحديث الآتى إلا أن الناس استنبطوا منه على الخطأ بأن الرجل المتعلم القادر على تعلم القرآن لو قرأه وهو يصيب مرة ويخطئ مرات ولا يفهم شيئاً من قراءته يستحق عند الله الثواب . والحديث المشار اليه هو من عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة" والذي يقرأ القرآن ويتمتع فيه وهو عليه شاق له أجران (متفق عليه).

اجتقار واستهزاء بآيات الله إلا إذا أكبوا من جديد على تعلم القرآن ومعرفة آياته فلا يعدمون الثواب إن شاء الله حتى بمجرد التلاوة خلال زمن التعلم .

وليس فهم القرآن شيئاً بسيطاً يستوى فيه كل من عل و نهل بل إنما له درجات ومنازل يغترف منه كل حسب استعداده وصلاحيته وذلك قريحته ، وباعتبار ما يبذل في هذا الأمر من جهد جهيد وسعي مجيد بدون هوادة أو كلل ، ولا يشبع منه الانسان ولو صرف فيه جل عمره وجاهد حتى جهادة فان القرآن - كما قال النبي عليه الصلاة والسلام - كنز لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ، وليكن أصحاب الفكر والروية منصرفين بعزيمتهم إلى هذا العمل ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

قد عبر القرآن عن مضمون الفهم بكلمات شتى من فكر وعقل وفقه وغير ذلك من الكلمات إلا أن أوسع تركيب وأشمله المستعمل لهذا الغرض هو «الذكر والتذكر» وقد عبر القرآن أحياناً عن نفسه بكلمة الذكر أو الذكري أو التذكيرة ، ويدلنا هذا التركيب على المنزل الأول من فهم القرآن وعلى الهدف الحقيقي الذي ينمى إليه بأن تعاليمه لم تكن غريبة بالنسبة للنفس ولكنها تعبر عن فطرتها وهي في طريق تذكير الانسان دائماً لا إلى تفهيمه شيئاً لم يسبق إليه بيان .

إن القرآن يدعو جميع الناس الذين أوتوا حظاً من الإدراك المعبر عنهم بكلمة «أولى الألباب» وبـ «قوم يعقلون» إلى التفكير والتدبر في الأنفس والأكوان تارة وفي آياته ووجيه تارة أخرى كبقوله «كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون» (البقرة) .

«كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون» (يونس) .

«وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»

(النحل) .

«إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (يوسف) .

إن العاقل ليدرك—كلما فكر في الآيات القرآنية والكونية والنفسية بأنها تتوحد وتتمازج بعضها ببعض إلى حد بعيد كما أنها بأجمعها تشير إلى حقائق تشهد عليها فطرة الإنسان نفسه وهي شهادة باطنة كانت كامنة مستترة فصارت ظاهرة جليلة على سطح الشعور الإنساني فيحصل له العلم بحقيقة النفس—وهو الإيمان بعبارة أخرى—مثل ذلك الرجل الذي تدفعه الدوافع فتنتقل أشياء من خزينته العامة بالذكريات إلى شعوره الظاهر ، وهذا هو «التذكر» بعينه حسب مصطلح القرآن .

وما من شخص إلا وهو مفتقر إلى مثل هذا التذكر سواء كان من العامة أو الخاصة ولذا يسر الله القرآن حتى يسهل على الناس التذكر ونبه على ذلك بقوله : «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» (القمر) .

فصارحت الحجة قائمة على كل شخص حتى ولو لم يؤت حظاً وافراً من العلم ولم تطرق أسماعه أبداً بحوث في المنطق والفلسفة ولم يتذوق أساليب اللغة وتراكيبها ولم يقف على جل معضلاتها ودقائقها شريطة أن يكون ذا طبع مستقيم وفطرة صالحة وأن يقدر على فهم عبارات القرآن كلما أمعن في قراءته .

وهناك جوانب شتى من «تيسير القرآن للذكر» فمنها أولاً كون موضوعه ودعوته الأساسية معروفة لدى الفطرة الانسانية فكأنه نداء من باطن الانسان صاحب الطبع السليم عند ما يرتفع بنفسه في رياض القرآن ، وثانياً كون طريق استدلاله واحتجاجه من أسهل الطرق وأيسرها كما جعلت المعضلات من القرآن سهلة ميسرة بضرب أمثال شيقة واضحة ، وثالثاً كون لغته من أسهل اللغات—مع أنه المعجزة الباقية والدرة الفريدة حسب الادب والمعاني—يأنس به كل من لازمه وحافظ عليه حتى ولو لم يعرف من العلوم إلا قليلاً .

ولابد من معرفة مبادئ اللغة العربية على الأقل بغية التذكير بالقرآن فان مراجعة الترجمة بلغة سري العربية عند تلاوة القرآن لا تسمن ولا تغني ، وأرى من الضروري على كل شخص دراسة اللغة العربية الى حد يجعله على علم بمعاني القرآن الكريم عند تلاوته بدون مراجعة الى أى ترجمة في الوقت عينه .

«وليت شعري بماذا يعتذر بسين يدي الله تعالى ذلك الرجل الذي

عرف القراءة والكتابة مبدئياً مع تقصيره في دراسة شيء من اللغة العربية ليكون قادراً على فهم معاني القرآن الكريم وكيف بمن أنقن اللغات الأجنبية وحاز على شهادات عالية وتعلم علوماً صعبة المراس مثل الطب والهندسة . . . . . » وإنني على يقين بأن هؤلاء الناس عندما يمتنعون عن تعلم اللغة العربية ، فانما يتلاعبون بالقرآن نفسه بعلومهم هذا ويجعلونه عرضة للاستهزاء والسخرية فما أعظم مسئوليتهم لدى الله وما أشد عقابهم عنده . . . »

وأرى أنه يجب على كل شخص متعلم تحصيل هذا القدر من اللغة العربية الذي يجعله يفهم القرآن ومن قصر في هذا الواجب فقد انتقص القرآن وجعل نفسه من الظالمين .

«التدبر في القرآن» هو المنزل الثاني بعد الفهم أى التفكير في علومه وحكمه والفوص في بحر عجائبه وفرائده فانما هو هدى للناس ، فاذا كان مناراً للعامة بحيث ينير لهم طريق الحياة ويهلى لهم حقائق الكون ما وجد الخاصة ملجأً لإلاليه ولا هلاذاً به عندما يتيهون في ظلمات من الشك والظنون خلال رحلاتهم الفلسفية والعلمية .

إن القرآن هو موضع للتدبر والتفكير كما قال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » (ص) كما أخذ على من لم يتدبر بقوله : « أفلا يتدبرون القرآن » (النساء) « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (محمد) .

وإذا كان سهلاً يسيراً من ناحية التذكر أصبح مغلفاً بحكم الأفعال من ناحية التدبر فهو بحر لا يعرف غمقه ولا يدرك ساحله ، يغوص فيه الغواصون فيتحIRON من عجائبه ودقائق صنيعته ، وكان الصحابة يقضون أوقاناً طويلة الأمد في تدبر آياته وتفقه معانيه ، فهذا عبدالله بن عمر الذي أوصاه الرسول بختم القرآن مرة في كل أسبوع ، قضى ثمانية أعوام كاملة وهو يتدبر في سورة البقرة وحدها وهذه هي حالة أولئك الناس الذين شاهدوا القرآن وهو ينزل وكانوا أفصح العرب على الإطلاق وما كانت تخفى عليهم آية من الآيات ، متى نزلت ولماذا أنزلت ؟ فكيف بمن جاء بعدهم وتطفل على موائدهم . . وهذا هو ابن جرير الطبري والعلامة الزمخشري والامام نضر الدين الرازي وأمثالهم من جهابذة العلماء والمفسرين الذين أنجبتهم الأمة المسلمة من وقت لآخر ، يقضون أعمارهم على التفكير في جانب واحد من جوانب القرآن فلا يفون بحقه ابداً ، وهل هناك من يدعى خلال القرون الأربعة عشرة الماضية بأنه وفي بحقه وقام بأدائه خير قيام ، ولو تمكن من تسويد آلاف من الأوراق تفسيراً وتوضيحاً ؟؟ فكيف بمن هو دونه علماً ومعرفة ؟؟

نقل الغزالي في «إحياء العلوم» قولاً عن عارف يدل على الفرق بين التلاوة الهادية إلى التذكر والأخرى الرامية إلى التدبر فقد قال الرجل بانني آتى على ختم للقرآن الكريم كل جمعة وثانياً في شهر بأكملة

وثالثاً في سنة بكاملها ورابعاً لم أصل إلى منتهاه وقد بدأت به منذ ثلاثين سنة .

أما الشروط التي لا بد منها للتلاوة القاصدة إلى التدبر فهي صعبة أيضاً لا يحققها إلا من وقف نفسه في سبيل العلم والتعلم فلا يعرف غير القرآن صديقاً ولا أنيساً فعليه أولاً أن يعرف قواعد اللغة العربية حتى يتقنها ثم يتذوق الآداب العربية ثم يطلع ثانياً على شعرها ومنشوراتها وخاصة ما نقل عن العصر الجاهلي من كلام الخطباء والشعراء فانه خير معوان على فهم لغة القرآن الكريم كما عليه أن يتأنس بالمصطلحات التي وضعها القرآن نفسه والأساليب التي هو صانعها وخالقها ، ثم معرفة نظم القرآن ثالثاً فانه من العلوم التي استعصى على العلماء معرفته وكملأوا من مشقات ومتاعب في الوصول إلى الرابط الذي يربط الآيات والسور بعضها ببعض ولا شك أن آياته وسوره منتظمة مرتبطة ولذلك وضع الرسول كل آية في موضعها غير مراعاة ترتيبها النزولي .

«ومن الظاهر أنه لا يمكن الوفاء بحق التدبر إذا لم يقطع الممر هذه المراحل كلها فمن قطعها استحق أن يمتنع نفسه بما يوجد في القرآن من درر و جواهر و يجول ببصره وخطاطره في أحضان كلام الله الواسع الجوانب المسترامى الأطراف جولة لا مشقة بعده ولا عناء . . . .»

وعليه أن يكون على معرفة تامة بنسخائره حديث الرسول ﷺ

والصحف السماوية السابقة فإذا حصل له كل هذا وذاك أصبح صالحاً ليتلو القرآن بغية التدبر فيه<sup>(٧)</sup> وهناك مرحلة أخرى عليه أن يقطعها كذلك وهي أن جميع العلوم العقلية والتجريبية تصل إلى مستوى معلوم في كل عصر وقرن ولا بد للرجل المتدبر في القرآن أن يعرف هذه العلوم بمقدماتها ومبادئها وطرق استدلالها واستنتاجها وعواقبها ونتائجها ولو بصورة إجمالية .

«لأنه لا يكون في نصيب الرجل من القرآن إلا حسب ما أعطيه من فطنة وذكاء وما يسعه ذهنه عمقاً واتساعاً ، ولا يستنير به الانسان إلا في حدود فكره ونظره ولا أشك—في تكوين أذهان الناس وأفكارهم—من نفوذ العلوم الطبيعية والعقلية التي تسود في عصورهم» .

ومن الطبيعي أن الناس عادة يغترون بالآراء والأفكار القائمة على أساس من العلوم الطبيعية وغيرها من علم المنطق والفلسفة والبحوث التي تتصل بالالوهية وما بعد الطبيعية وعلم النفس والأخلاق في كل عصر من العصور ، فمن أراد أن يقف في وجه الآراء الفاسدة منها ويستأصل شأفتها ما عليه إلا أن يتعمق في هذه العلوم نفسها إلى أن يصل إلى قراراتهم—ومتابعتها حتى يتمكن من نقضها من أساسها أسوة بالامام ابن تيمية والامام الغزالي رحمهما الله تعالى .

(٧) أرجو أن يراجع كل من عني بتلاوة القرآن بغية التدبر والفكر كتاب «مبادئ تعلم القرآن تأليف الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى (غير مترجم الى اللغة العربية الى الان) ويقرأ بعناية بالغة فانه مما يساعد على التدبر، ويجعله ليستأنس بالقرآن أيما استيناس» .



وقد بلغت العلوم الطبيعية والصناعية في هذا العصر ذروتها حتى تحيرت لها العقول ودانت أسلطانها القلوب وأصبح من المستحيل النقد على الأفكار الزائفة التي صاحبها فلا بد في مثل هذه الأحوال أن تتولى جماعة من أصحاب العزيمة والنية الصادقة تحقيق الشروط التي سبق بيانها بخصوص التدبر في القرآن من جهة وتسعى لتحصيل العلوم العصرية من جهة أخرى حتى تتمكن من تمييز العناصر الصالحة من العناصر الفاسدة وتخطب الناس على قدر عقولهم ومستواهم مستدلة بتجاربها الواسعة لإزاء العلوم العصرية لتكون هداية القرآن عامة شاملة لكل ضال ومسترشد ، ويتحقق بذلك تبين القرآن للناس كما قام به الرسول في حياته خير قيام ، ولا بد لتحقيق هذا العمل من إقامة جامعات عديدة في العالم الإسلامي بحيث تهتم بموضوع التدبر في القرآن كمادة جوهرية تدرس بجانبها جميع العلوم العقلية من الفلسفة والمنطق والألوهية وما بعد الطبيعة وعالم النفس والأخلاق والعلوم العمرانية من الاقتصاد والسياسة والقانون والعلوم الطبيعية من الحساب والكيمياء والطبيعة والفلسكيات وجيالوجيا ويجب على كل طالب في مثل هذه الجامعة دراسة مادة «التدبر في القرآن» كمادة أساسية مع اختيار مادة أخرى أو أكثر من العلوم المشار إليها حسب صلاحيته وميوله الذاتية حتى يتمكن أخيراً من عرض تعاليم القرآن الكريم عرضاً وافياً شاملاً على أساس من تحقيقه في العلوم التي مارسها خلال الدراسة .

لأنه عمل جليل لا يقدر عليه كل رجل ، وإنه لا يطيقه إلا أولئك الأشخاص الذين يجدون من تلقاه أنفسهم ميولا إلى العلم وتجدون عندهم أسئلة من حين لآخر لا يمكن الرد عليها إلا بعد طرق كل باب من أبواب العقل ، وإنهم ليجدون أنفسهم مضطرين إلى طلب العلم مثل الجائع إلى الطعام أو العطشان إلى الماء ، تلهج ألسنتهم دائماً بقولهم «رب زدنا علماً» فمن أصاب منهم قيادة رشيدة نال حظاً من العلم والحكمة وهؤلاء هم الذين يقدرون على القيام بهذا العمل الجليل بخلافه أما غيرهم من طلبة العلم فلا يعدون حظهم أيضاً على قدر جهدهم وصلاحياتهم وإلى هذا دعا الرسول ﷺ بقوله ترغيباً لهم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (أخرجه البخاري رواية عن عثمان بن عفان) وإليه استنفر القرآن استنفاراً عاماً «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليفقهوا في الدين» (التوبة) .

ولم يكن التفقه في الدين إلا ثمرة من ثمار التدبر في القرآن وقد دعا الرسول ﷺ لبعض الصحابة كابن عباس بقوله «اللهم فقهه في الدين» ولما قال : «خيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام» أعقبه بشرط «إذا فقهوا» .

## الحق الرابع

### العمل بالقرآن

هذا هو الحق الرابع بعد الايمان به وتلاوته والتدبر فيه وهو المقصود لما سبق من الحقوق فان القرآن ليس سحراً أو طلاسماً تدفع بها البلايا ولا هو كتاب بركة فحسب ليتلى احتساباً أو رجاء نقص في الأوجاع والآلام عند النزاع ولا هو كتاب فلسفة يقرأ للبحث والتحقيق ويخرج منه بنكات تحير العقول وتدهش النفوس بل إنما هو «هدى للناس» كما مر بيانه لا تتم رسالته إلا إذا حققه الناس في حياتهم ، وقد أوضح القرآن بدون خفاء أو غموض وبينه الرسول ﷺ بأنه من لم يعمل بالقرآن ولم يحكم به لا يعتد بايمانه ولو قضى عمره قراءة له والتدبر فيه . يقول الله عز وجل : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (المائدة) . وزاده الرسول أيضاً بقوله : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» وقوله : «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» (الترمذى) .

قد يعذر ذلك الرجل الذى لا يزال يطلب الحق ويبحث عنه وقد اهتم بالقرآن قراءة وفهماً ليعرف أحق أم باطل ! وأما من آمن بالقرآن

كلاماً منزلاً من الله فلا يسعه إلا أن يتلو القرآن وهو منصرف إليه بكامل عزيمته وإرادته ، مستعد لتحقيق أوامره والاجتناب عن نواهيه ولو اضطر إلى التضحية بالرخيص والغالي في سبيله ولا تنكشف حقائقه — كما أسلفنا عند الكلام حول معاني التلاوة — إلا لمن جعل نفسه في حيازة القرآن ، فإذا كانت الحالة كهذه أصبح لدى نفس الإنسان — بعد مجاهدة طويلة الأمد ورياضة شاقة متعبة — طبع سليم منقاد غير عنه الرسول ﷺ بقوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وهذه هي البداية بخصوص الهداية التامة التي في القرآن ، وكلما زاد الإنسان قوة وإحكاماً في صلته بالقرآن زاد القدر من الهداية والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (سورة محمد) .

فكان الإنسان إذا تبع القرآن وهو — بمسك بطرفه — أصاب الصراط المستقيم ووجد نفسه في ازدياد رشداً وهداية وإذا نلاه غير قاصد العمل به فقد أضاع الوقت بدون أى انتفاع وقد جلب عليه اللعنة كما نقل الامام الغزالي عن بعض العارفين بأن كثيراً من قراء القرآن لا يجدون من قراءتهم إلا اللعنة فانهم كلما قرأوا قوله تعالى : « ولعنة الله على الكاذبين » جعلوا أنفسهم عرضة لها لكذبهم ونفاقهم ، وإذا قرأ قوله تعالى : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » (البقرة) كان ممن يأذنون بحرب من الله ورسوله إذا كان ممن يأكلون الربا ولا يتركونها بحال ، وكذلك جلب عليه الويل عند قراءته « ويل

للطففين» و «ويل لكل همزة لازة» إذا كان من أصحاب هذه الصفات القبيحة والجريمة أشد بالنسبة لأوائلك المشتغلين بالقرآن الذين قضوا أعمارهم في البحث والتفتيش عن درره وجواهره ثم لم يعملوا به ولم يرعوا حقوقه فانما عملهم هذا لا يعدو التلعب بالقرآن فلا يرجعون على أنفسهم بقراءة القرآن إلا بالضلال كما قال تعالى : «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً» (البقرة) ولا يعودون على إخوانهم إلا بفتح أبواب من الفتنة والفساد بحيث تصدق عليهم قوله تعالى : «يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله» (آل عمران) ولم يكن يتوقف الصحابة رضوان الله عليهم على بعض الآيات والسور آماداً طويلة إلا لحرصهم على العمل بما تبسر لهم من قراءة القرآن مع فهمها وتدبر معانيها حتى التدبر والفهم ، ومما يستعجب منه أن الصحابة ما كانوا يعنون بحفظ القرآن عن حفظه في الصدور فحسب بل إنما يعنون به عن فهم مضمونه والعمل بأحكامه حتى يستوعبوه فهماً وحفظاً وعملًا في آن واحد . وكأنهم عنوا به عن أعماله في حياتهم بحيث تكون كلماته محفوظة لدى ذاكرتهم وعلومه في أذهانهم وأحلامه في سيرهم وخلقهم<sup>(٨)</sup> وهذا ما عنته السيدة عائشة في قولها المحكم عند ما سئلت

(٨) كما تشهد عليه هذه الرواية التالية التي نقلها السيوطي في «الانقضاء» .  
«وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم إذا كانوا يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعملوا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتملأنا القرآن جميعاً ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة».

عن خلق النبي ﷺ فقالت : «كان خلقه القرآن» أى كان النبي ﷺ نموذجاً مثالياً لتعاليم القرآن .

فالمقصود من حفظ القرآن وعلمه هو العمل به حتى يصير المرء متخلقاً بتعاليم القرآن أجمعه وإلا أصبح ممن يحتاج عليهم القرآن كما قال النبي ﷺ «القرآن حجة لك أو عليك» وهناك نقطة لا بد من التنبيه عليها وهى أن للعمل بالقرآن جانبين اثنين ، الجانب الشخصى والجانب الاجتماعى ، وإن المرء مكلف على الفور بالأحكام والأوامر التى تتعلق بحياته الشخصية ولا عذر له إذا أهملها أو فى أدائها فإذا لم يعمل بها أصبح ممن قبل عنهم بلسان القرآن «أكثرها منافى أمى قراؤها»<sup>(٩)</sup> (مسند أحمد) فالطريق الأسلم هو العمل ما أمكن بما تيسر للانسان علمه من آيات القرآن على الفور ، وأما الأحكام التى تتعلق بحياة الانسان الاجتماعية فليس بمكلف بأقواتها فى حد ذاته وإنما عليه أن يجد ويجهد بما استطاع فى إيجاد جو اجتماعى يصلح لاقامة هذه الأوامر ولم يكن جهده هذا إلا «معدرة إلى ربكم»<sup>(١٠)</sup> يقوم مقام تنفيذ هذه الأوامر الاجتماعية فعلاً وأما إذا قصر فى القيام بمثل هذا القدر الزهيد من العمل منصرفاً بنفسه إلى كسب قوته ورعاية ذويه فيخشى عليه من ضياع حصيلته بما قدم من العمل بأوامر القرآن المتعلقة

(٩) ليس المراد «بالقراء» المقرئين فقط بل إنما يعنى به عن كل من يشتغل بالقرآن قراءه وتحقيقاً وليس له حظ من العمل به إلا قليلاً .

(١٠) الآية «وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرنا إل ربكم ولعلهم يتقون» (الأعراف) .

بالنواحي الشخصية كما يظهر من قوله عز وجل : «أقؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض»<sup>(١١)</sup>.

وكما أن القرآن اصطلاح للتعبير عن فهمه في أوسع معانيه على كلمة (التذكر) أورد تركيب (الحكم بما أنزل الله) للتعبير عن العمل بالقرآن كما في قوله : (إن الحكم إلا لله) (يوسف والآنعام) وجعل القرآن حكماً في قوله : «وكذلك أنزلناه حكماً عربياً» (الرعد) ومو من ومو من واجبات الرسول المهمة كما في قوله : «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» (النساء) .

ثم صرح بدون غموض وإيهام بقوله : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (المائدة) . الحكم هو القضاء لغة ، ولندرك معناه الواسع يجب أن نعرف

(١١) يرتجف القلب من هول الوعيد الشديد الذي يعقب هذه الكلمات وهو قوله : «فأجزاء من يعمل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب» وهذا ما أصاب الأمة المسلمة جزاء إهمالها لايات الله فأشد خزيها في الدنيا كما تراء العيون ويشهدها الواقع ، وأما عذاب الآخرة فلا مفر منه كذلك إلا إذا شملنا الله برعايته الخاصة «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» (المائدة) وكما يصدق علينا قول النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» (رواه مسلم عن عمر بن الخطاب) .

«وما أحسن ما قاله الشاعر :

«كانوا أعزة لأجل إسلامهم وصرنا أذلة لجهلنا القرآن وراء ظهونا» (الترجمة).

أن هناك شيئين من أهم الأشياء بالنسبة لكل إنسان : فكره وعمله ، وقد أحاطت كلية الحكم كليهما بحيث توضح الرابطة الموجودة بينهما «إذا وله المهر بأى فكر أو مبدأ بحيث يصبح رأياً يرتأبه أو قضاء يقضى به—أو بعبارة أخرى—حكماً يحكم به صار عمله تابعاً له تلقائياً .

ولذلك أورد القرآن اصطلاحه الخاص—الحكم بما أنزل الله—مغبراً عن العمل به حتى يتضح لكل ذى عين أنه لا يمكن العمل بالقرآن إلا إذا صارت أفكار الإنسان وآراؤه للقرآن متقادة له لا تحيد عنه قيد شعرة فى حال من الأحوال .

وهناك اصطلاح آخر وهو «الإقامة» للتعبير عن العمل بالكتب السماوية كما ورد بخصوص اليهود والنصارى ”ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم“ (المائدة) ثم أردفها بقوله : ”قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم) .

وإذا كان الحكم بما أنزل الله يتصل عادة بالافراد وأعمالهم عنى (بما أنزل الله) عن إقامة ذلك النظام الاجتماعى العادل الذى يضمن لأفراده وجميع طبقاته عدلاً شاملاً ورخاءً وسكينة فلا ظلم ولا عدوان ولا بنى ولا طغيان ولا باباً يفتح للضغط السياسى أو الاستغلال الاقتصادى ويتم بذلك الأمن والسلام والسكينة والطمأنينة كما بشرت به



الآية السالفة الذكر من سورة المائدة ، وقد أشار الله تعالى إلى إقامة هذا النظام التكافلي في الآية التالية من سورة الحديد إجمالاً بقوله : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وذكره تفصيلاً وإيضاحاً في سورة الشورى بحيث يتضح ما يوجد الحكم الإلهي وإقامة دينه والإيمان بكتابه ، وإيجاد هذا النظام العادل من روابط وثيقة محكمة الوشائج فذكر أولاً الأساس الذي يبنى عليه بقوله (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) ثم أعقبه في الآيات التالية بذكر الدين أو الشرع الذي ينتج عن الحكم الإلهي فقال : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحى إلينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

خاطب بعدها الرسول بقوله : (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) واختتم هذا الموضوع بهذه الكلمات الجامعة التالية .

(الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب) وقد ذكر (الميزان) في هذه الآية مقترناً (بالكتاب) كما سلف في آية من سورة الحديد وقد جاء الأستاذ شبير أحمد عثمانى بكلام جامع عندما فسر هذه الآية فقال : (أنزل الله ميزاناً مادياً توزن فيه الأجسام وميزاناً علمياً يعبر عنه بالعقل السليم وميزاناً خلقياً يعنى به عن

صفة العدل والانصاف وميزاناً آخر من أكبر الموازين وهو ميزان الدين الحق يميز حقوق الخالق منها للمخلوق ويوزن فيه الكلام فلا ينقص ولا يزداد .

إن القرآن جعل أساس التفرق والانتشار (هو البغى بين الناس كما ذكر في نفس السورة) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً) ولكنه إذ أقيم الدين الحق أى الكتاب والميزان انسدت جميع الطرق المؤدية إلى البغى والظفیان فلا مجال عندئذ للأخبار والرهبان أن يكونوا أرباباً من دون الله ولا لرأس المال أن يكون (دولة بين الأغنياء منكم) ولا لأصحاب السياسة أن يجهلوا الناس عرضة للاستبداد والاستغلال بل يتم - محل هذا وذاك - التآخى بين العباد وأصبح من واجب أولى الأمر أن يكون الضعيف لديهم قوياً حتى يسلم إليه حقه والقوى ضعيفاً حتى يؤخذ منه ما اغتصب من حقوق الناس وأعراضهم .

هذا هو النظام التكافلى العادل الذى وجب على المؤمنين بكتاب الله إقامته وإيجاده ويكلفون به اجتماعياً ويستلون عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وكان الله تعالى لما ذكر هذا الموضوع من إقامة الدين ، وإنزال الميزان وعقبه بقوله (وما يدريك لعل الساعة قريب) نبه الناس على الاستعجال بإقامة دينه وأداء حقوقه فانهم لا يدرون فى أى ساعة من الساعات تقوم عليهم القيامة فيحاسبون كل صغيرة وكبيرة . . . . .

وما هو الطرق لاقامة هذا النظام ؟ سؤال يطرق كل ذهن ويخلج في كل صدر . . . ولست بصدد إثارة هذا البحث إلا أنني أنتهز الفرصة لأشير إلى نقطة هامة وهى أنه من الخطأ الفاحش أن يقاس ما يبذل فى إقامة هذا النظام من جهود وأعمال على أى حركة أخرى من الحركات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التى يشهدها العالم من حين لآخر كما أنه من الضلال والمفسدة أن يستعار لانجـاحه خطة عملية سارت عليها حركات أخرى قديماً أو حديثاً ، وكما أنه لا يصلح المرء ولا تحسن حالته الروحية إلا إذا حبيت إليه تعاليم القرآن بحيث يؤمن قلبه بصحتها فاذا تم ذلك خشعت لها جوارحه ودانت لعظمتها خواطره وعواطفه فلا يرى مثل القرآن هادياً ومرشداً فى حياته كلها ، كذلك الحال بالنسبة للجماعة ، أما لإحداث ثورة إسلامية فى هيتها فانه لا تتم هذه الثورة إلا إذا آمنت به الطبقة المثقفة التى هى بمثابة المركز من هذه الجماعة بحيث يصل القرآن إلى شغاف قلوبهم ويتمركز فى داخل حشايها ، فاذا تم لهذه الفئة الايمان انتشر تلقائياً إلى الطبقات الأخرى التى هى بمثابة الجوارح من الجسد من بقية الأمة ، فتصبح الجماعة عندئذ جماعة راسخة الايمان متنورة بنور من وحى السماء محتنية ثمار هذا النظام فى ظل هدى القرآن .

هذا هو السبيل الوحيد الذى لا سبيل دونه لاقامة الدين بكامله ومن أفسد الآراء بل من أوهنها أن يحلم باقامة دينه بواسطة إنشاء حركة سياسية قائمة على أساس من الاستغلال لعواطف الناس الدينية

لأجل صلتهم بالاسلام كذهب ورثوه أبا عن جد أو كابراً عن كابر .  
 هذه جمل تطرق الحديث إليها والمهم أن العمل بالقرآن المعبر  
 عنه (بالحكم بما أنزل الله) تارة وبإقامة ما أنزل من الله ، أخرى هو  
 حق من أعظم الحقوق وجب أدائه على كل إنسان شخصياً وعلى الأمة  
 المسلمة اجتماعياً .

## الحق الخامس

### التبليغ والتبيين

الحق الأخير الذى وجب على كل مسلم أدائه حسب صلاحيته واستعداده—بعد كل من حق الإيمان بالقرآن وقراءته وفهمه والعمل به—هو الدعوة به إلى الآخرين .

وقد اصطلاح القرآن للتعبير عن الدعوة به على كلمة (التبليغ) ولهذه الكلمة جوانب ودرجات فمن بينها (التعليم) ومن إحدى مراتبها العليا (التبيين) وبصدد ذكر الغاية من القرآن قال الله تعالى : (هذا بلاغ للناس ولينذروا به) (الأنعام) كما أشاد به كواجب أولى من واجبات الرسول ﷺ فقال : (وأوحى إلى هذا القرآن لآنذرکم به ومن بلغ) (الأنعام) ثم نوه على أن واجب الرسول الأساسى هو إبلاغه إلى الناس بدون نقص وإهمال فاذا قصر فى ذلك لم يوف الرسالة حقها بقوله : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (المائدة) .

وحقاً قد أدى الرسول الأمانة ولاقى فى أدائه أنواعاً من المصائب والالام منذ بعثته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ، وحقاً إنه

قام بنشاط واسع في مختلف صوره وأشكاله طيلة هذه المدة إلا أنه من الواضح - لو نظرنا بدقة تامة - أن جهوده كلها كانت تدور حول نقطة واحدة فلم يكن ليحيد عن قراءة القرآن وتبليغه إلى الناس وتبيينه للحاضر والبادي قيد شعرة طوال حياته بعد البعثة وقد ذكر أربع مرات في القرآن الطريق الذي اتخذه الدعوة وإصلاح المجتمع بقوله ، (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (البقرة ، آل عمران ، الجمعة) وتهدف هذه الآيات إلى نفس الطريق الذي سلف بيانه بضدد الكلام حول إحداث ثورة إسلامية . أدى الرسول ﷺ هذا الحق وبلغ الأمانة إلى الصحابة بمجده المتواصل وعمله الجريئ المتلاحق خلال ثلاث وعشرين سنة وحرص أصحابه<sup>(١)</sup> على تبليغه إلى الناس بقوله (بلغوا عني ولو آية) وفوض هذه الأمانة - بعد أن كمل الدين وتمت النعمة - إلى هذه الأمة حتى تتولى أداها فيما بعد في خطبته الأخيرة عند حجة الوداع بعد ما استشهد الصحابة على أنه بلغ الدين فقال (وليبغ الشاهد الغائب) وصارت بذلك الأمة المسلمة مسؤولة عن تبليغه إلى الآخرين حتى يوم القيامة ، ولما كانت الأمانة لا تكون إلا من الناس وجب على كل شخص أداء هذه الأمانة حسب صلاحيته ، فعلى العلماء مثلاً أن يودوه حسب استعدادهم ومقدرتهم ،

(١٢) وهناك أمودج رائع من الصحابة في شخصية مصعب بن عمير الذي قام بالعهود في ربوع يثرب نصارت هذه الديار مهجراً للمسلمين وكفها نحرأ بذلك ونرجو أن يحذو كل مسلم حذو هذا الصحابي الفليل ليقوم بأداء الأمانة خير قيام .

وعلى العامة في حدود علمهم ومعرفةهم .

(ولا شك أن ما من امرئ إلا وهو مسئول عن أداء هذا الحق أخذاً من قوله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية) فمن تعلم قراءة القرآن فعليه أن يعلم الآخرين القراءة ومن حفظ بعض آياته وسوره فليحفظ قدرها أصحابه ، ومن عرف ترجمته فليعرف الناس ترجمته بلنتهم ، ومن فهم معانية سعى في تفهيمها من يجهلها من أقرانه حتى لو عرف آية واحدة سعى إليه وجد نهاره ليطالع عليها الآخرون . . .

هذا هو «التبليغ» الذي لا تبرا الأمة المسلمة من أداء حقه اجتماعياً إلا إذا بلغته بمتنه ومعانيه إلى مشارق الأرض ومغاربها . . . إن تحقيق هذا الشيء لا يعدو حلاًماً من الاحلام في وقتنا الحاضر لأن الأمة التي أخذت على عاتقها أداء هذا الواجب العظيم قد بلغت من الجهل والاعراض عن القرآن إلى أن صارت الآن في حاجة إلى أن يبلغ إليها القرآن من جديد ، فمن المهم أن يجب إلى هذه الأمة نفسها تعلم القرآن وتعليمه بحيث يصبح كل امرئ إما متعلماً أو معلماً للقران ، وفقنا الله لتحقيقه ، آمين .

(والتعليم) هو أحد فروع التبليغ كما مر بيانه كما أن (التبيين) من مراتبه العليا فليس من الواجب تبليغه إلى الآخرين فحسب بل لا بد من تبينه لهم مع إيضاح لما تتضمنه الآيات والسور من المعاني والأدلة على مستوى أذهانهم وقواهم العقلية كما أشير إليه عند الكلام

حول التدبر في القرآن وقد عبر الله تعالى (البيان) عن القرآن في قوله :  
 (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للتقين) (آل عمران) كما عبر عنه  
 بكلمة (المبين) تارة وعن آياته بصفة (البيّنات) وجعل من واجب الأنبياء  
 تبليغ آياته وتبيينها للناس فقد خاطب الرسول بقوله : (وأنزلنا إليك  
 الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل) وذكر عن أهل الكتاب  
 وعن عهدهم الذي عاهدوه فقال : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا  
 الكتاب لتبيننه للناس) (آل عمران) وقد استحقوا اللعنة لما أهملوا  
 هذا الحق وكتموه أشد الكتمان كما في قوله : (إن الذين يكتمون  
 ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك  
 يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (البقرة) .

ومن أدنى مراتب (التبيين) أن يوضح لكل قوم معاني القرآن  
 الكريم - ولو إجمالاً - بلغته التي يتفاهم بها أفرادها لأنه لا يتم التبيين  
 لقوم من الأقوام إلا بلسانه كما قال عز وجل : (وما أرسلنا من رسول  
 إلا بلسان قومه ليعينهم) (إبراهيم) .

ومن الضروري لتحقيق هذا الأمر طبع القرآن الكريم في كل  
 قطر من أقطار العالم مع ترجمته وتفسيره باللغة المحلية ولو مختصراً ونشره  
 وتوزيعه ما أمكن ذلك .

فإني الكريم ! هذه هي الحقوق التي يجب على كل مسلم أدائها  
 والعناية بها ولنحمد الله على أننا نحفظ بالقرآن كما أنزل على الرسول ﷺ



يسدون تغيير أو تبديل وإنسا لنعتز به أيما اعتزاز وعلينا مسؤولية كبيرة ازاء ذلك فان بنى إسرائيل حملوا كتاب الله قبلنا ولما فشلوا في أداء المهمة وحمل المسؤولية جاء الله بأمة غيرها تتولى حمل كتابه العزيز ، وقد مثل تعالى الذين حملوا كتابه ثم لم يوفوا حقه بقوله في سورة الجمعة : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) ثم عد عملهم هذا تكذيباً لآياته فقال : (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أردفه بذكر سنة الله التي ان تجدها تبديلاً (والله لا يهدي القوم الظالمين) وإنى أتعوذ بالله من أن أكون أنا أو تكونوا أنتم من هؤلاء المذكورين وأدعوه أن يجعلنا ممن يحملون القرآن فيوفونه حقه . وعندما يقول الله عز و جل في سورة الفرقان : «وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذه القرآن موهجوراً» أراد بهم الكفار أصلاً ، إلا أن الآية تشمل أولئك الذين آمنوا بالقرآن ثم لم يعتنوا به بتاتاً كما ذكر الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره تحت هذه الآية «أريد بهذه الآية الكفار إلا أن جميع الأعمال من عدم التصديق بالقرآن والتدبر في آياته والعمل بمقتضياته والاهمال في تلاوته وتصحيح قراءته والانصراف عنه مع الاشتغال بأمور أخرى نالها مما يؤدي إلى هجر القرآن تدريجياً» (١٣) .

(١٣) كما يدل على عظم مكانة الاستاذ شبير أحمد العثماني وقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم أن كلماته هذه تضارع حديثاً واحداً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مروياً عن هبيرة المليكي . قال الرسول صلى الله عليه وسلم يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار وأفشوه وتغنوه وتدبروا فيه املكم تفلحون (شعب الايمان للبيهقي) .

وأعوذ بالله مرة أخرى من أن نكون من أمثال أولئك المذكورين آنفاً وأختتم خطابي هذا بالدعاء الذي أثر عن النبي ﷺ ويدعى به عادة عند ختم القرآن إلا أنني أرى أن يستكثر منه ليوثقنا الله تعالى لأداء حقوقه .

«اللهم أرحمنا بالقرآن العظيم واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لنا حجة يارب العالمين . آمين» .

ندرج فيما يلي دعاء آخر مروياً عن عبد الله بن مسعود - على سبيل اليمن والبركة - لقنه ﷺ الصحابة ليدعوا به عند نزول الآلام والمصائب والأحزان وهو شرح واف (للعبودية الكاملة) وتفسير شامل لقوله «شفاء لما في الصدور» وإيضاح تام لما يكنه الرسول من قدر وإجلال تجاه القرآن الكريم . ورد هذا الدعاء في كل من مسند أحمد ورزين باختلاف يسير في كلماته ونعرضه بعد جمعه في مكان واحد .

«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي ، آمين .



نحسب نأسف لما وقع من الأخطاء الطباعية في هذا الكتاب  
والمسبب لذلك عجلة الطباعة وضيق الفرصة—وللعجلة آثار عجيبة .  
وهذا جدول تصويب أخطاء كان التنبيه عليها عندنا أهم . وهناك  
أخطاء أعرضنا عن الإشارة إليها إحالة إلى فهم القراء الكرام حيث  
يسهل التنبيه لها بأول وهلة وأدنى تدبر . فترجو القارئ الكريم ان  
يبادر إلى تصحيحه وأن يسامحنا .  
وسنبذل المجهود في تصحيحه التام عند الطبع ثانياً ونعود النظر  
في ذلك إن شاء الله تعالى والعود أحد .

### جدول المخطأ والصواب

الصفحة	السطر	المخطأ	الصواب
٨	٧	الرسول صلى الله	سيدنا ابوبكر الصديق
		عليه وسلم	
٨ (حاشية)	٢	اشترأك	اشراك
١٠	١١	ربك	ربك
١٠	١٢	واتل ما	اتل ما
١٠	١٦	حن	حق
١٢	٦	أخذى عشرة	أخذى عشرة وثلاث
		من السور	عشرة من السور
١٢ (حاشية)	٢	نلاوه	تلاوه
١٣	١٠	لحسن القرآن	لحسن الصوت
١٤	٧	يرجو	يرجو

١٧	١٣	حياتهم في علوم	حياتهم في تحصيل علوم
		جمعة	جمعة
١٨	١١	المتنافون	المتنافسون
١٩	٨	جعلناه	أنزلناه
٢٠	١١	شبكة	رشيقة
٢١	١٤	ولا ملاذاً به	ولا ملاذاً إلا به
٢٢	١٥	مكيف	فكيف
٢٤ (حاشية)	٢	تعلم القرآن	تدبر القرآن
٢٤ (حاشية)	٣	عل	على
٢٦	٢	تلقاه	تلقاه
٢٦	١٢	ليفقهوا	ليتفقهوا
٢٦	١٤	دعا	دعا
٢٩ (حاشية)	٢	السلفي	السلمي
٣٠ (حاشية)	٣	مهاكم	مهاكمهم
٣١	٦	ومومن	×
٣١	٧	ومومن	وهو من
٣١ (حاشية)	٢	من يفعل	من يفعل
٣٦	٣	باقامة ما أنزل من	(باقامة ما أنزل من الله)
		الله اخرى	اخرى
٣٩	٦	معانية	معانيه
٤٢	١٥	أسألك سميت به	أسألك بكل اسم هو
			لك سميت به